المحاضرة الثالثـة
الاتجاه الواقعي في الرواية العربية

الواقعية:

الواقعية منهجا في الإبداع الأدبي، اتخذ من الواقع مسرحا لأحداثه من خلال علاقة تفاعل بين الشخصية والحدث والواقع وقد بدأت بوادر الرواية الواقعية عند العرب في القرن 19، لكنها قبل ذلك أي في القرن 18 نشأت حول علاقة الفرد بالمجتمع، فكانت عبارة عن روايات تريد التصالح مع التاريخ والواقع، فجل روايات عصر التنوير كانت تنحو هذا المنحى ، ليس في فرنسا فقط، بل حتى في المانيا مع أب الرومانسية الشاعر والقاص غوته) Goethe (1749-1832) وأهم رواياته المعبرة عن هذا الاتجاه رواية كتبها بين(1777 -1785) ونشرت سنة 1796 عنوانها " سنوات تعلم فيلهلم مايستر" و مثّل هذا الاتجاه في إنجلترا دانيال ديفو (1660-1731) Daniel Defoe بقصته روبنسن كروزو (1719)، التي تعبير عن سيادة الفرد الفاعل.[1]

ولما جاء القرن 19 في أوربا قوي الاهتمام بالواقع في الرواية في هذه الفترة، ومن اعلام الرواية الفرنسية في هذ الطور أونوريه دي بلزاك(H De Balzac)1850 -1791 ، وكان شعاره أن الواقع والكتابة عنه لا يكونان إلا بعد ملاحظته ملاحظة دقيقة، له نتاج غزير مشهور جمعه في البداية تحت عنوان "دراسات اجتماعية "، ثم اختار له سنة 1841 عنوان " الكوميديا الإنسانية ".[2]

من أشهر أعلام الاتجاه الواقعي في فرنسا في القرن 19 إيميل زولا (1840 1902) , وهو زعيم المذهب الطبيعي الواقعي، وكان يطمح إلى تحليل مقومات الإنسان ومعطيات المجتمع بنفس المنهج الدقيق المعتمد في العلوم الطبيعية وكانت نظرته إلى الإنسان محكومة بحتمية تأثير الأوضاع المادية والدوافع الغريزية والمحركات العاطفية ومن أشهر أعماله " آل روغون ماكار Les RougonMacquart وهي أثر ضخم مكون من عشرين رواية ، تابع فيه تاريخا طبيعيا واجتماعيا مداره عائلة عاشت خلال الإمبراطورية الثانية في فرنسا(1871-1893)[3]

كان لابد أن نقوم بهذه الجولة عن نشأة الواقعية غربيا وعن أهم أعلامها، لأن الواقعية عند الغرب كانت أسبق عند العرب، ويمكن في كثير من الأحيان أن تكون الواقعية العربية متأثرة بالواقعية الغربية، مع تفاوتات عن عوامل ظهور الواقعية عربيا من حيث الدوافع الاجتماعية والسياسية وغيرها .

1 ـ نشأة الاتجاه الواقعي في الرواية العربية :

اكتملت نشأة الرواية العربية في البداية على الاتجاه الاجتماعي وهذا مع البدايات الرائدة منها رواية زينب لمحمد حسين هيكل، وبقيت الرواية الاجتماعية ممتدة مع الحليم عبد الله، وعبد الحميد جودة السحار الذين صاحبوا ظهور الرواية الواقعية مع حلب محفوظ وعبد الرحمان الشرقاوي ويوسف إدريس وغيرهم.[4]

فالاتجاه الواقعي يعد اتجاها ناضجا للرواية العربية، لذلك فمن المنطقي أن تجرب الرواية العربية أولا نقل الحكايات والمشاكل كما تعاينها اجتماعيا لتخطو بعدها نحو التفاصيل الواقعية، وقد قاد الاتجاه الاجتماعي في البداية محمود تيمور (1894-1973) في روايته الأطلال، كليوباترا في خان الخليلي، سلوى في مهب الريح، وطه حسين (1889-1973) في دعاء الكروان وشجرة البؤس، أما محمد عبد الحليم عبد الله (1913-1970) فقد اكتمل هذا النوع الاجتماعي على يده من خلال عدة روايات منها "

---

[1] السعيد الورقي ،اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ،ص:67

[2] المرجع نفسه، ص: 56، 57

[3] المرجع السابق، ص: 56، 57

[4] المرجع نفسه، ص: 58

سكون العاصفة "، فاستمد هؤلاء موضوعاتهم من المشاكل الاجتماعية في الحياة العربية، فكان البناء الدرامي فيها يحرص على الحدث والشخصية أكثر من حرصه على العلاقة الزمنية والمكانية[1].

- عوامل ظهور الاتجاه الواقعي :

رغم ظهور الرواية الواقعية في الغرب وتعرف العرب عليها إلا أن العرب جربوا هذا الاتجاه لاحقا بعد توفر عوامل ظهورها والتي منها :

- الوصول إلى مرحلة التعرف على الواقعية كاتجاه فني والتمكن منها ، حيث تأخر ظهور الرواية ككل عند العرب فكان من المنطقي أن الأولى لتلتحق بمرحلة التمكن من نقل الواقع وحيثياته .

- تطور الوعي لدى الطبقة الوسطى بعد فشل ثورة عرابي وقيام ثورة 1919 بقيادة سعد زغلول ضد ممارسات الانتداب البريطاني، ودخول الفكر الاشتراكي ونمو الوعي الجماعي مقابل البورجوازية الفردية التي احتكرت المال والسلطة، وكذا الوعي بضرورة خروج الاستعمار الامبريالي الذي سببته البورجوازية الغربية، ثم قيام ثورة 1952 ضد الحكم الملكي والتواجد البريطاني كان من أهم مبادئها القضاء على الإقطاع وقيام العدالة الاجتماعية

2- الواقعية في الرواية العربية :

يقسم السعيد الورقي تمثلات المذهب الواقعي في الرواية العربية الى قسمين و هما: الواقعية التسجيلية والواقعية التحليلية[2].

2-1 - **الواقعية التسجيلية :** ويقصد بها " تلك الصيغة من صيغ الواقعية التي حاولت أن تقدم تمثيلا موضوعيا للواقع الاجتماعي ، وذلك بالنفاذ المباشر في الحياة والواقع ، ذلك النفاذ الذي يتقبل الأشياء كما تبدو لنا في الواقع "[3]

ومن أبرز أعلامها في الرواية العربية : يحي حقي في روايته " قنديل أم هاشم 1944 . ونجيب محفوظ في روايته " فضيحة في القاهرة " 1941 ، ثم " خان الخليلي " 1946 و " رفاق المدق " 1947 ، و " بداية ونهاية "، ثم ثلاثية: بين القصرين، قصر الشوق، السكرية 1956 1957، وعند محمد جلال في روايته " قهوة المواردي "، والكاتب السوري حنا مينة في روايته " المصابيح الزرق " 1954 .

-مميزات الواقعية التسجيلية :

- تسجيل الحقائق المادية للواقع الذي تتحرك فيه الشخصية.

- تتناول في الغالب مشكلة فرد يعيش في المجتمع، ويغلب عليه تحجر الإحساس ويعيش منفعته الخاصة، ليدمر نفسه ومن حوله في النهاية وهذا من محصلات النظرة المادية للطبقة الوسطى[4] .

2 - 2 الواقعية التحليلية : هي مصطلح " يمكن اطلاقه على تلك الروايات الواقعية التي سعت إلى إيجاد نموذج فني يعنى بالتأثير المتبادل بين حركة الفرد وحركة الواقع، وذلك بخلق العلاقات المتبادلة بين الواقع والشخصية باعتبار الفرد انعكاس للواقع الاجتماعي ويحيلنا هذا الامر بقوة على نموذج الرواية الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي.

ومن أبرز رواد هذا الاتجاه في الرواية العربية نجد : عبد الرحمان الشرقاوي في " الأرض " 1954 ، ويوسف الريس في " الحرام " 1959، و " العيب " 1962 وحنا مينة في " الشراع والعاصفة 1966" و الثلج يأتي من النافذة" 1969 و الشمس في يوم غائم 1973 و صالح مرسي في " زقاق السيد البلطي "[5] . والطاهر وطار " اللاز " و " الزلزال " ، وأعمال جمال الغيطاني وصنع الله إبراهيم وغيرهم .

-خصائص الواقعية التسجيلية :

- محاولتها إلغاء البطل الفرد وإحلال الجماعة محله أو الطبقة، وذلك للوصول إلى صيغة عمل مشتركة تعي حركة المجتمع وتتعامل معه من خلال شخصيات إيجابية تطمح نحو عالم أفضل .

---

[1] السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، ص: 45

[2] المرجع السابق، ص: 47،48،49

[3] المرجع نفسه، ص: 71

[4] المرجع السابق، ص: 73

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- حاولت هذه الأعمال الاقتراب من الواقع وتحليله بخلفية إيديولوجية تختلف من كاتب إلى آخر بحسب تأثراته الفكرية والفلسفة[1].

تنوعت الواقعية في الرواية العربية بين التسجيلية والتحليلية، ورغم وجود هذين الاتجاهين لدى الغرب أيضا بين التسجيلي والتحليلي، إلا أن وجودهما عربيا كان تلبية للدوافع التي وجدتها الرواية أمامها، فالتسجيلية كانت استجابة فنية وتجريب مسبق للواقعية، كما أنها ضرورة للتطورات الاجتماعية الحاصلة عربيا، أما التحليلية فكانت استجابة للواقع الفكري والسياسي، حيث ظهرت عربيا بسبب اجتياح الفكر الماركسي، والثورات الشعبية، ومحاولات البناء السياسي وفق هذا النموذج، مما عكس ضرورة تحليل الواقع روائيا من أجل فهم مدى ضرورة البناء الماركسي اجتماعيا وسياسيا.

3- خصائص الرواية الواقعية:

بالنظر إلى ما يجمع هذه الاتجاهات ، نجد أن النقاد قد حددوا مجموعة من الخصائص التي تميز الروايات الواقعية، والتي أذكر منها :

- الابتعاد عن التكلف في التعبير ، وعن استخدامات الرمز الغامضة .
- الاستناد إلى الواقع في بناء ملامح الشخصيات الروائية، والتعريف بها وبانتماءاتها، مع الإفصاح عن هويتها سواء أكانت هذه الشخصيات افتراضية جيء بها لتعبر عن فئة أو شريحة معينة لها وجودها الحقيقي في الواقع أم مرجعية لها وجودها السابق عن النص و ومعروف تاريخيا، وفي الحالتين تقر الرواية الواقعية بالربط الدائم للنص وشخصياته بالواقع الذي خارجي محقق ماديا تعلق منه إلى عملية الكتابة وتعود إليه.
- تقديم خصائص الفترة الزمنية بتفاصيلها الواقعية المميزة لها .
- التركيز على وصف الأماكن بدقة .
- اللجوء إلى استخدام العامية في الحوار، أو في بعض المواضع النصية الأخرى (سرد / وصف) التي من شاها وضع القارئ داخل عوام نصية ذات علاقة وطيدة بالواقع المعيش .
- استخدام لغة تتساوى ومستوى الشخصيات داخل النص الروائي .
- البناء المنطقي للأحداث، باعتماد نظام سببي تراتبي لا يخالف العقل ، وذلك بعيدا عن أي خارق يأخذ القارئ بعيدا عن عالمه الحقيقي.
- تصوير الحياة بجانبيها المظلم والمنير من أجل توصيف الواقع .
- الاهتمام باليومي ، وبالطبقات الشعبية المقهورة.

لقد طرح النقاد سؤال أهلية الرواية الواقعية في أن تكون نموذجا مكتملا مثل الرواية العربية في أبهى حلته وقد نزع الكثير منهم الى تثمين ما قدمته من ايجابيات لا يمكن إنكارها نحو الانطلاق من الواقع والعمل على قراءه ملتزمة داخل الخزانة السردية العربية الحديثة، إلا أنهم رفضوا في الوقت نفسه فوتوغرافية الواقعية فلا باس بربط الأدب بالحياة والانطلاق من الواقع والتعبير عنه لترقبه لكن دون أن تهمل الجانب الجمالي والفني والعاطفي والخيالي الذي لا تستقيم الرواية دونه.

---

[1] المرجع السابق، ص: 125، 155